الرَّضيع المُبَارَك

وتحكي السيدةُ حَليمةُ السَّعْديَّةُ عن بركةِ هذا الرَّضيعِ ﷺ مُنْذُ أنْ أخَذَتْهُ منْ أمِّه آمنةَ فتقولُ:

فلمَّا أخذتُهُ رجَعْتُ به إلى رَحْلي، فلمَّا وضعتُهُ في حجْري أقبلَ عليه ثدياي بمَا شاءَ من لبَن، فشربَ حتَّى رَوِيَ، وشربَ معهُ أخوه حتى رَوِيَ، ثم نامَا. . وما كنا ننامُ معه قبلَ ذلكَ.

وقامَ زَوجي الحارثُ بن عبد العُزَّى إلى شارفنَا تلكَ فإذا هيَ حافلٌ (أيْ فيهَا لَبنٌ)، فحلَبَ منهَا ما شربَ وشربتُ معهُ حتَّى انتهينَا ريًا وشبعًا، فبتنَا بخيرِ ليلةٍ.

وقال لي زوجي حين أصبحنَا: تعلَّمِي والله يا حليمةُ، لقدْ أخذتِ نسمةً مباركةً.

فقلتُ لهُ: والله إنِّي لأرجُو ذلكَ.

ثُمَّ خرجنَا وركبتُ أنا أتاني[1] وحَمَلتُهُ عليهَا معي، فوالله لقطعتُ بالركب ما لا يقدرُ عليه شيءٌ من حميرهمْ، حتَّى أنَّ صواحبي ليقلنَ

(١) الأتان: أنثى الحمار.

لي: يا ابنةَ أبي ذؤيب، وَيْحَكِ! . . اربَعِي علينَا[1]! أليستْ هذه أتانَك التي كنت خرجْتِ عليها؟!

فأقولُ لهنَّ: بَلَى، والله، إنَّها لَهيَ هِيَ.

فيقلنَ: والله إنَّ لها شأنَا.

وتُواصِلُ السيدةُ حليمةُ حديثَها[2] عن بركَة الرسول ﷺ عليهَا وعلَى قومِها فتقولُ:

وقدمْنَا منازلَنَا من بلاد بني سعد وما أعلمُ أرضًا منْ أرض الله أجْدَبَ منهَا، فكانتْ غَنَمي تَرُوحُ عليَّ حين قدمْنَا به معَنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلبُ ونشربُ، وما يحلبُ إنسانٌ غيرُنا قطرةَ لبن، ولا يجدُهَا في ضرْع، حتَّى كانَ الحاضرونَ من قومنا يقولونَ لرعيانهم: ويْلَكُم اسْرَحُوا حيث يسرَحُ راعي بنت أبي ذؤيب. فتروحُ أغنامُهم جياعاً ما تبضُّ بقطرة لبن. وتروحُ غنمي شباعًا لُبَّنًا. إنها بركةُ هذَا الغلام الرضيع، فلمْ نَزَلْ نتعرَّفُ منَ الله الزيادةَ والخيرَ حتَّى مَضَتْ سنتاهُ

(١) أي انتظرينا بعض الوقت.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٦٢ - ١٦٤.

وفَصَلْتُهُ[1]، وكانَ يشبُّ شباباً لا يشبُّهُ الغلمانُ، فلمْ يبلغْ سنتَيْهِ حتَّى كانَ غُلامًا قد اتّسعَ جنبَاهُ.

فقدمتُ به على أمِّه، ونحنُ أحرَصُ علَى مُكثِه فينَا؛ لَمَا كُنَّا نرَى من برَكته فكلَّمْنَا أمَّه، وقلتُ لهَا: لو تركت ابني عندَي حتَّى يغلظَ؛ فإنِّي أخشَى عليه وَباءَ مكةَ.

ولمْ نَزَلَ بها حتَّى ردَّتْه معنَا.

(١) فصلته: فطمته.

obeikandl.com